التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية وباقي العلوم

بين الضرورة والرفض.

- دراسة نظرية تطبيقية

أ.د.محمد خالد اسطنبولي

المقدمة:

إن واقع الأمة الإسلامية المعيش اليوم هو واقع مأساوي متخلف فيه انكفاء على النفس وانغلاق، وتحجر وان كل وافد أو موجود خارج حدودنا فهو ليس منا وأقصد مجالات كثيرة منها العلوم الاجتماعية والإنسانية . وفي الوقت نفسه ازدواجية في الإفادة والتلقي من العلوم التجريبية.

وإن العروج الحضاري لا ينطلق إلا بجناحيه؛ الوحي المسطور، والكون المنظور وان جل البحوث التي نتقدم في الجامعات الشرعية هي في الحقيقة فعل البحوث وليست بحوث الفعل، وان العلوم الشرعية لا تكون فاعلة ومفعلة، مؤثرة ونافعة إلا إذا مشت جنبا مع جنب لباقي العلوم، كعلم النفس وعلم الاجتماع، والتربية و المناهج، والتنمية البشرية...الخ.

وهكذا كان سلفنا، ولا نهوض حضاري إلا بالتكامل المعرفي والانفتاح على العالم المفتوح.

دراسات سابقة:

هذا الموضوع من الموضوعات التي اهتم بها باحثون ومراكز وكانت وما زالت شغل المفكرين والعلماء وان المعهد العالمي للفكر الإسلامي عقد

دورة بعنوان " دورة بين علوم الشريعة والعلوم الاجتماعية والإنسانية والكونية". بالقاهرة سنة 2012م.

نوه د. عبد الحميد أبو سليمان إلى أهمية التعامل مع الآخر من باب " الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها" فنأخذ الحقائق العلمية من أي مصدر، ولكن نتعامل معها من خلال رؤيتنا للكون الخاصة بنا والتي تهدف إلى خيرية الإنسانية كما أكد على أهمية التعليم في إعادة بناء عقل أبناء الأمة ودعا إلى أهمية الاستفادة من التجربة الماليزية التي تهدف إلى سياسة هادفة عنيت بالدرجة الأولى بالجمع بين العلوم الشرعية والإنسانية كافة إلى جانب علوم العمارة والهندسة والطب، وتم وضع المناهج اللازمة لبناء تفكير الطالب الإبداعي والقيادي وتأهيله لتحمل المسؤولية في المستقبل، وكانت المناظرات أحد أهم النشاطات بالجامعة والتي قصد منها تدريب الطالب كيف يفكر في الآخر، وهذا يعطي للطالب القدرة على التواصل....[1]

ويقول أد محمد عمارة: إن الحديث عن العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية يمكن أن يبدأ بالتساؤل هل بينهما علاقة؟ وأجاب قائلا: بينما العلوم الشرعية مصدرها الوحي ولان الغرب شهد صراعا مريرا بين الدين والعلم حدث انفصاما بين الدين والعلم وبالتالي أصبحت العلوم الكونية والاجتماعية علوما مصدرها الواقع، والرؤية الكونية الغربية جعلت الإنسان سيد هذا الكون، وأكد عمارة على أن الإسلام جعل جميع العلوم والمعارف مصدرها الوحي وتنزيل هذا الوحي على الواقع، وعقد قران بين الوحي وعلومه وما بين الواقع وعلومه، فالإسلام لم يهمل الواقع ولذلك الرؤية الإسلامية لا ترفض العلوم الاجتماعية التي مصدرها الواقع ولكن نريد ربط تلك العلوم بالوحي نريد العلاقة بين الدين والعقل، بين الدين والعلم بين الدين والواقع، والمعهد العالمي نذر نفسه لهذه القضية " إسلامية المعرفة.[2]

[1] Orabic.iiit. org.
[2] Orabic.iiit.org

أزمة العقل الناهج:

لقد أصبح من المؤكد لدى العقلاء والخبراء والعلماء أن أزمة الأمة هي أزمة عقل.

قال أبو شقة ويلفتنا هذا الهدف إلى قضية اكبر واخطر تستدعي تضافر جهود العلماء والمفكرين، وهي قضية تحرير العقل المسلم المعاصر تحريره من قيود هائلة وموازين باطلة وأفكار فاسدة سيطرت عليه عبر القرون فأعجزته وشوهته، فإذا تحرر من كل ذلك استيقظ وعمل على نور من هدى الله، .. وان تحرير العقل المسلم هو السبيل إلى إعادة بناء المجتمع كله على أساس صحيح متين[1].

وفي نفس السياق يؤكد د. فريد الأنصاري نفس الفكرة وان المنهج هو جوهر مشكلة الأمة، فلو استقامت عليه لاستقام لها كل شيء.

وغياب العقل الناهج هو المسبب لهذه الفوضى الفكرية التي أبعدتنا عن واقعنا وعن العالم الإنساني.

فلسفة وقانون المرض[2]:

إن العامل الداخلي هو الذي يبدأ في عملية توليد الحدث، وتهيئته وتوليده بعد ذلك، وإبرازه إلى الوجود، ويبقى العنصر الخارجي هو الذي يكشف الغطاء عن التفاعل الداخلي.

هذا القانون يخضع له الوجود المخلوق بكل شرائحه ومستوياته فورقة الشجرة تسقط بسبب ضعف ارتباطها بالغصن والمرض يحدث بسبب ضعف أو انهيار الجهاز المناعي، والفرد يختل بسبب أوهامه الداخلية، والمجنون المصاب

[1] تحرير المراة في عصر الرسالة، عبد الحليم ابو شقة، دار القلم، الكويت، ط8، 2010، ص39.

[2] في نقد الفكر الديني – النقد التاريخي – خالص حلبي، ط2014، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص56.

بالبارانويا يظن أن الناس كلهم يتآمرون عليه، كما هو الحال عن كثير من الساسة والمفكرين الذين يبحثون عن أكباش فداء، وهكذا فان أكباشا مثل (الصهيونية)، (والاستعمار) وقوى التدخل الخارجي والرأسمالية العالمية والماسونية)..... والحركات التبشيرية.... واذا لم يبق في الجعبة شيء فالشيطان جاهز لنصب عليه كل مصائبنا التي نفعلها بايدينا...

وإذا أعيت كل التفسيرات فهناك التفسير الذي يخرس الجميع فلنقل القدر والحظ ولا مانع من إدخال إرادة الله، التي شاءت أن ترفع غير المسلمين وتنزل كفة المسلمين.

أما فلسفة القرآن في مرض ظلم النفس هو أن ما يحدث هو (من عند أنفسكم)، وان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

ما الفرق بين الشيطان وآدم؟

إن الفرق بين الشيطان الذي دخل اللعنة الأبدية وآدم الذي نال رحمة الله هو التوبة (رب اني ظلمت نفسي)، في حين أن لوم الآخرين هو طريق الشيطان الذي برأ نفسه وألقى اللوم على رب العزة انه هو الذي أغواه (بما أغويتني)... والحضارات تسقط ليس بالهجوم الخارجي بل بالانتحار الداخلي.

إلزامية تلاقح العلوم والمعارف:

التربية وعلم النفس[1]:

كثيرا ما يوجه اللوم على النظام التربوي عند حدوث أي خلل في المجتمع، كانتشار ظاهرة الطلاق أو تفشي ظاهرة جنوح الأحداث وانتشار المخدرات... واللوم في هذه الحالة لا يوجه إلى علم النفس بشكل مباشر، ذلك لان هذا العلم لا يحدد الأهداف التربوية التي تسعى التربية إلى تحقيقها وهذه تقع على عاتق الفلسفة السياسية السائدة في المجتمع.

[1] ينظر موقع educpsxcho. Blogspot.com2014 mark leus

التربية والتعليم:

يميز بعض الباحثين بين التربية Education من ناحية وبين التعليم Enseignement من ناحية أخرى.

" رينان" Renan فقد جعل التربية من عمل المنزل فقط أما التعليم فهو الذي تقوم به المدرسة.

قوزدور Gusdare يقول أن التربية هي التكوين الشامل للشخصية، وان هذا التكوين يفترض وجود وجهة نظر معينة نحو أنفسنا ونحو العالم، وبالتالي، نحو الإنسان الذي نريد تكوينه، ومن ثم فان العملية التربوية تتضمن نوعا من الاختيار لنوع القيم التي تتبناها والتي نحاول غرسها في نفوس الناشئة، في حين ان التعليم يتجه فقط الى الجانب العقلي من الشخص فيعتمد في ذلك على الفعاليات الذهنية من ذاكرة وذكاء وغير ذلك بقصد اكساب الإنسان المعارف العقلية ونحن اذا كنا نوافق على هذا الفهم للتربية فاننا لا نوافق على هذا التطور لمفهوم التعليم، والأنسب أن ينظر إلى التعليم كوسيلة لتحقيق أهداف التربية في إعداد وتكوين الشخصية المتكاملة، القادرة على التلاؤم والتكيف مع المجتمع من ناحية والمؤهلة للإسهام في تطوير المجتمع نفسه، ودفعه نحو التقدم والرقي من ناحية اخرى.

التربية والبيداغوجيا:

إن البيداغوجية جزء من التربية، لان التربية أهم واشمل إذ تتجه إلى تكوين وتشكيل جوانبها وأما البيداغوجيا كما يقول " فولكيه" Foulquie هي السلوك أو النظام الذي يتبع في تكوين الفرد ولذا فهي تتضمن إلى جانب العلم بالطفل المعرفة بالتقنيات التربوية والمهارة في استعمالها، وبالتالي فهي لا تعدو أن تكون مجموعة الوسائل المستعملة لتحقيق التربية، أو هي طرق التدريس ووسائله.

وأبو شقة يزودنا بتجربته في كتابة تحرير المرأة في عصر الرسالة.

وكان من ثمرات هذا المنهج تحقيق نوع من التصنيف الموضوعي للنصوص المتعلقة بالمرأة في القرآن الكريم وصحيحي البخاري ومسلم والمؤلف يعتد بهذه الثمرة لأنها خطوة عملية في سبيل الدعوة إلى عمل تصنيفات جديدة لنصوص القرآن والسنة المطهرة وفق الحاجات المتجددة للأمة الإسلامية ومن هذه الحاجات العلوم الإنسانية مثل علم النفس والاجتماع والتربية والاقتصاد والسياسة ومناهج البحث ومنها أيضا القضايا والمشكلات المعاصرة مثل قضايا المرأة والتكافل الاجتماعي ومناهج الإصلاح والتغيير وأهم من ذلك كله منهج تفكير المسلم[1].

بين تحذير الله ورسوله وتحذير الأصدقاء:[2]

يبين لنا أبو شقة مشكلته العويصة والمؤذية من أصدقائه وغيرهم عند إخراجه كتاب تحرير المرأة أما تحذير الله تعالى ورسوله فتحذير بالغ الشدة عن كتمان العلم، قال الله تعالى (**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**)[3].

وأما عن تحذير الأصدقاء فهم فريقان – فريق حذر من فساد الزمان وسوء استغلال بعض أصحاب الأهواء للنصوص ووضعها في غير موضعها ... ويذكرني هذا التحذير بتحذير مماثل وجه للشيخ الألباني عند قوله أن وجه المرأة ليس بعورة ويخلص في نهاية حديثه بحديث " من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار " رواه ابن حبان والحاكم وصححاه.

إذا نظرنا إلى واقع المسلمين اليوم، ضعف ، وهوان وتخلف وتمزق...

والعلوم الشرعية المقدمة اليوم تقدم بعيدة عن الواقع المعيش.

---

[1] تحرير المرأة في عصر الرسالة، ص 42-49.

[2] تحرير المرأة، أبو شقة (52/1).

[3] سورة البقرة الاية 159.

فالمريض يصاب بمرض نفسي فيذهب للراقي ولا يعترف بالطبيب النفساني في حين عند مرضه بمرض جسدي عضوي يعود الطبيب ويأخذ الدواء، بل هناك جوانب كثيرة ومتعددة بل وقضايا متداخلة بين الشريعة وعلم النفس بين الشريعة وعلم الاجتماع بين الشريعة وعلم التربية بكل تخصصاتها، علم المناهج، علم الاقتصاد بكل فروعه ونريد نحن الأمة أن نستقل بالشريعة السمحاء فوق هذا الوجود من غير اتصال بأحد، بهذه الطريقة نحن نقضي على أنفسنا.

وأختم مداخلتي بقضية كبيرة وهي في حقيقتها تنابز بالألقاب، فكل من يخالفني أنعته بما يحلو لي كحذاثي أو معتزلي أو عصراني وهذا كله من التنابز بالألقاب والحجة تقرع بالحجة ولا نجاح إلا بعد فشل ولا اجتهاد من غير خطا. والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.